المبحث الثالث

نشأة الخوارج وأهم صفاتهم

obeikandl.com

obeikandl.com

نشأة الخوارج وأهم صفاتهم

من المعروف أن فرقةَ الخوارجِ نشأتْ -في أرجح الآراء- بسبب التحكيم في الخلاف بين الإمام عليٍّ -رضي الله عنه- ومعاوية في موقعة صفين[1] لما طلب معاويةُ وأصحابُه في صفين (سنة ٣٧هـ) من الإمام عليٍّ أن يتحاكمَ الفريقان إلى القرآن الكريم؛ تردَّد عليٌّ -كرَّم الله وجهه- في قبول وجهة نظرهم؛ لمعرفته بدهاء معاوية وعمرو بن العاص صاحب فكرة رفع المصاحف والتحاكم إلى القرآن الكريم؛ لكن بعضَ أصحاب عليٍّ حثَّه على قبولِ فكرةِ التحاكم إلى القرآن الكريم، فقبل الطيبُ الكريمُ -رضي الله عنه- الفكرةَ ورضخَ للرأي؛ حتى لا يؤدي رفضُه إلى افتراق جماعته.

رُويَ أنَّ الأشعثَ بنَ قيسٍ ومسعودَ بن فدكي التميمي وزيدَ بن حصين الطائي قالوا للإمام عليٍّ: الناسُ يدعوننا إلى كتاب الله وأنت تدعونا إلى السيف! فلترجعنَّ (الأشتر) -قائد جند علي- عن قتال المسلمين، أو لنفعلنَّ بك ما فعلنا بعثمان[2] فأمر عليٌّ

---

(١) صفين موضع على شاطئ الفرات بقرب الرقة.

(٢) من الملاحظ أن ابن كثير يصف الثائرين على عثمان بـ(الخوارج) =

الأشتر بالكفِّ عن القتال بعد أن كان نصر الأشتر وشيكًا، ثم أراد عليٌّ أن يُنِيبَ عنه في قضاء الحكمين عبدَ الله بن عباس للتحكيم؛ فما رضي الخوارج بذلك وقالوا: هو منك.

فحملوه على إرسال أبي موسى الأشعري على أن يحكم بكتاب الله، ولما جرى الأمر على خلاف الحقِّ رفض عليٌّ قبول حُكم الحكمين فخرج عليه بعضُ أصحابه وقالوا: لماذا حكَّمتَ الرجال؟ لا حُكم إلا لله؛ فقال الإمام عليٌّ: كلمةُ حقٍّ يراد بها باطلٌ، إنما يريدون إمارة ولابد من إمارة برة، أو فاجرة، ثم انحازوا إلى (حروراء)(١) وأعلنوا بذلك خروجَهم على عليٍّ والحكمين وكلِّ من رضي بالتحكيم؛ فكانوا هم جماعة الخوارج الأولى.

=

أثناء تعرضه للفتنة وملابساتها (البداية والنهاية) لابن كثير جـ ٧ ص ١٨٩.

ويرى الشهرستاني أن الخارجي هو كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، [الملل والنحل للشهرستاني جـ١، ص ١٠٥].

(١) قرية قريبة من الكوفة.

وقد يُسمَّى الخوارجُ بالحرورية نسبةً إلى حروراء؛ وهي القريةُ التي خرجوا إليها، وسُمُّوا بالمُحَكِّمَةِ: أي الذين يقولون لا حُكم إلا لله[1] وسمُّوا أنفسهم الشراة: أي الذين باعوا أنفسهم لله من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧].

ونخلُص من ذلك أن المُحَكِّمَةَ الأولى من الخوارج هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي -عليه السلام- في صفين وأول من خرج منهم: الأشعث بن قيس الكندي، ومسعر بن فدكي التميمي، وزيد بن حصين الطائي.

وخرج علي عليٌّ يومَ التحكيم: (عبد الله بن الكواء، وعتاب بن الأعور، وعبد الله بن وهب الراسبي، وعروة بن جرير، ويزيد بن عاصم المحاربي، وحرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي الثدية)[2].

---

(١) سمَّاهم المقريزي الحكمية وعرفهم بأنهم الذين خرجوا على عليٍّ في صفين وقالوا: لا حكم إلا لله ولا حكم للرجال. المقريزي جـ ٢ ص ٣٥٤.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني جـ ١ ص ١٠٥.

وهؤلاء هم المُحَكِّمَةُ الذين قالوا لعليٍّ -رضي الله عنه- لَمَّا حكَّم الحاكمين: إن كنت تعلم أنَّك الإمام حقًّا فلم أمرتنا بالمحاربة، ثم انفصلوا عنه لهذا السبب وكفَّروا عليًّا ومعاويةَ -رضي الله عنهما[1].

والحقُّ أنَّ أقوالَ المتكلمين فيمن كان أول المحكمة فيها اختلاف كبير.

لكن المهم أن نقول بعد ذلك: إنه -كما أشرنا من قبل- الخوارج بعد رجوع عليٍّ من صفين إلى الكوفة انحازوا هم إلى حروراء وزعيمهم يومئذٍ عبدُ الله بن الكواء، وشبث بن ربعي.

ويقول الرسعني[2] (وناظرهم على فاستأمن إليه ابن الكواء مع عشرة من الفرسان وانحاز الباقون منهم على النهروين، وأمَّروا على أنفسهم رجلين:

أحدهما: عبد الله بن وهب الراسبي، **والآخر:** حرقوص بن

---

(١) اعتقادات الرازي ص ٤٦.

(٢) صاحب مختصر كتاب الفرق بين الفرق ص ٦٨ ص ٧٢، والنص موجود أيضًا في كتاب الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٧٥: ٨١.

زهير البجلي المعروف بذي الثُّدية، ورأوا في طريقهم رجلًا هاربًا منهم فقالوا له[1]: من أنت؟

قال: أنا عبد الله بن خباب بن الأرت صاحب رسول الله ﷺ.

فقالوا: حدثنا حديثًا سمعته من أبيك عن رسول الله ﷺ: فقال: سمعت أبي يقول: قال رسول الله ﷺ: «**ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، فمن استطاع أن يكون مقتولًا فلا يكونن قاتلًا**». فحمل عليه رجل من الخوارج يقال له: مسمع بسيفه فقتله، فجرى دمه فوق ماء النهر كالشراك إلى الجانب الآخر، ثم إنهم دخلوا منزله -وكان منزله في القرية التي قتلوه على بابها- فقتلوا ولده وجاريته أُمَّ ولده، ثم عسكروا بنهروان، وانتهى خبرهم إلى عليٍّ -عليه السلام- فسار إليهم في أربعة آلاف وبين يديه عدي بن حاتم الطائي، فلما قرب منهم عليٌّ -عليه السلام- أرسل إليهم يقول: سلِّموا لي قاتل عبد الله بن خباب فأرسوا إليه: كلُّنا قتله، وإن

---

(١)أشرنا إلى هذه الحادثة في المبحث السابق باختصار وهذا هو تفصيلها وتفصيل الحوار بين الخوارج والإمام علي -كرم الله وجهه.

ظفرنا بك لنقتلنَّك.

فتقدم إليهم عليٌّ في جيشه وبرزوا إليه بجمعِهم، فقال لهم قبل القتال: ما نقمتم منا؟

فأرسلوا إليه: أول شيء نقمنا منك أنا قاتلنا بين يديك يومَ الجمل، فلما انهزموا أبحت لنا ما وجدنا في عسكرهم من المال، ومنعتنا من سبي نسائهم وذراريهم: فكيف استحللت ما لهم دون نسائهم والذرية؟

فقال: إنما أبحت لكم أموالهم بدلًا عما كانوا غاروا عليه من بيت مال البصرة قبل قدومي عليهم، والنساء والذرية لم يقاتلونا، وكان لهم حكم الإسلام بحكم دار الإسلام، ولا يجوز استرقاق من لم يكفر، وبعد فلو أبحت لكم النساء أيكم كان يأخذ عائشة في سهمه؟! فخجل القوم من هذا.

ثم قالوا له: نقمنا عليك محوك أمير المؤمنين عن اسمك من الكتاب بينك وبين معاوية فقال: فعلت مثل ما فعل رسولُ الله ﷺ يومَ الحديبية قال له سهيل بن عمرو: لو علمنا أنك رسول الله لما نازعناك ولكن اكتب باسمك واسم أبيك، فكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو، وأخبرني رسول الله أن لي

منهم يومًا مثل ذلك.

قالوا: فلِمَ حَكَّمْتَ الحكمين؟ فإن كنت في شكٍّ من خلافتك فغيرُك أولى بالشك، فقال: إنما أردت النصفة لمعاوية، ولو قلت للحكمين احْكُما لي بالخلافة لم يرضَ معاويةُ، وقد دعا رسولُ الله ﷺ نصارى نجران إلى المباهلة فقال: ﴿ تَعَالَوْاْ نَدْعُ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١]، ولو قال: نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم لم يرضَ النصارى بذلك، فأنصفهم بذلك، ولم أدرِ غدر عمرو بن العاص.

قالوا: فلِمَ حكمت في حقٍّ كان لك؟

قال: وجدت رسولَ الله ﷺ حكَّم سعدَ بن معاذ في بني قريظة، ولو شاء لم يفعل، لكن حكم رسول الله ﷺ حكم بالعدل، وحكمي خُدع حتى كان من الأمر ما كان، فهل عندكم من شيء سوى هذا؟ فسكت القوم وقال أكثرهم: صدق والله! وقالوا التوبة[1]

---

(١) ذكرت من قبل في كتب السُّنَّة وبخاصة الحاكم في المستدرك، وأحمد ورجاله رجال الصحيح حوارًا بين ابن عباس والخوارج شبيهًا بهذا الحوار بين عليٍّ والخوارج... ويبدو لي أن الذي حاور الخوارج هو ابن عباس -رضي الله عنه- لأن الأحاديث الخاصة =

واستأمن إليه يومئذٍ منهم ثمانية آلاف، وانفرد منهم أربعة آلاف مع عبد الله بن وهب، وحرقوص بن زهير البجلي.

وقال عليٌّ للذين استأمنوا إليه: اعتزلوني اليوم، وقاتل الخوارج بالذين قدموا معه، وقال لأصحابه: قاتلوهم فوالذي نفسي بيده لا يقتل منا عشرة، ولا ينجو عشرة منهم، فقتل من أصحاب عليٍّ يومئذٍ تسعة وهم: ذؤيبة بن وبرة البجلي، وسعد بن مجالد السبيعي، وعبد الله بن حمَّاد الجريري، ورفاعة بن وائل الأرحبي، والفياض بن خليل الأزدي، وكيسوم بن سلمة الجهني، وعتبة بن عبيد الخولاني، وجميع بن جسم الكندي، وحبيب بن عاصم الأودي.

وبرز حرقوص بن زهير، إلى عليٍّ وقال: يا بن أبي طالب: لا نريد بقتلك إلا وجه الله والدار الآخرة، وقال له عليٌّ: بل مثلكم كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾

=

به مروية عن طريق رجال الصحيح ولكن لا مانع أيضًا أن يكون الإمام عليٌّ حاورهم أيضًا؛ لإقناعهم بسلامة رأيه وصحة اجتهاده.

[الكهف: ١٠٣-١٠٤]، منهم أنت وربُّ الكعبة، ثم حمل عليه في أصحابه، وقتل عبد الله بن وهب في المبارزة وصرع ذو الثدية عن فرسه، وقتلت الخوارج يومئذٍ، فلم يفلت منهم غير تسعة أنفس، صار منهم رجلان إلى سجستان، ورجلان إلى اليمن ومن أتباعهما أباضية اليمن، ورجلان صارا إلى عمان ومن أتباعهما خوارج عمان، ورجلان صارا إلى ناحية الجزيرة ومن أتباعهما كان خوارج الجزيرة، ورجل منهم صار إلى مكان آخر قال له (تل موزن) وقال علي لأصحابه يومئذ: اطلبوا ذا الثدية، فوجدوه تحت دالية، ورأوا تحت يده عند الإبط، مثل ثدي المرأة، فقال: صدق الله ورسوله[1] وأمر به فقتل.

فهذه قصة المحكمة الأولى، وكان دينهم: إكفار عليٍّ وعثمان وأصحابِ الجمل ومعاوية وأصحابه والحكمين ومن رضي بالتحكيم، وإكفار كلِّ ذي ذنب ومعصية.

---

(١) يقصد أن النبيَّ ﷺ أشار إلى هذا الحدث من قبل حدوثه فقال: «سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قوم يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية، وهم الذي أولهم ذو الخويصرة، وآخرهم ذو الثدية».

ثم لم تزل الخوارج تخرج على عليٍّ إلى أن قُتل في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة، حيث قتله عبد الرحمن بن ملجم الخارجي[1] وكان زوجًا لامرأة قُتل كثيرٌ من أفراد أسرتها في وقعة النهروان، وبعد مقتل عليٍّ خرجت الخوارج بعده على معاوية وظلُّوا مع الدولة الأموية في حروب طويلة، وفي عهد العباسيين ضعفت شوكة الخوارج وانهارت قواهم وضعف تأثيرهم وقلت جموعهم وفتروا تمامًا عن الحروب والحقيقة أن الخوارج عرفوا بعصبيتهم العربية فقد كانت القبائل التي انتشر فيها مذهب الخوارج من القبائل الرِّبعيَّة، لا من القبائل المضرية، والنزاع بين القبائل الرِّبعيَّة والمضرية قديم منذ العصر الجاهلي -كما أشرنا من قبل- وقد أخفاه الإسلام قليلًا لكنه ظهر ثانية في شكل خارجي[2].

---

(١)قال فيه: أحد شعراء الخوارج الصفرية عمران بن حطان:

يا ضربةً من تقي ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش

إني لأذكره حينًا فأحسبه ... أوفى البريَّة عند الله ميزانًا

(٢)لعل ذلك أحد الأسباب النفسية التي جعلت الخوارج يقولون بجواز الإمامة في قريش أو غيرها فقد رأوا أن الخلفاء من مضر =

كان معظم الخوارج من عرب البادية الربعيين وقد عرفوا بالتعصب والحماسة والاندفاع السريع في آرائهم.

كما عرفوا بتمسكهم بظواهر الألفاظ فتمسكوا بظواهر الألفاظ القرآنية لا يتجاوزون الظاهر إلى المرمى والموضوع.

وقد عرف عن الخوارج أيضًا التشديد في العبادة[1] ويروى أن

=

وهم لم ينسوا قط الصراع القديم بين الربعيين والمضريين.

(١) قال أبو حمزة الخارجي في وصف أصحابه الخوارج: شباب والله مكتهلون في شبابهم، غضيضة عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أرجلهم، أنضاء عبادة، وأطلاع سهر، فنظر الله إليهم في جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مروا بآية من ذكر الجنة بكوا شوقًا إليها، وإذا مروا بآية من ذكر النار شهقوا شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيهم، موصول كلالهم بكلالهم، كلال الليل بكلال النهار، قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم، واستقلوا ذلك في جنب الله، حتى إذا رأوا السهام قد فوقت، والرماح قد أشرعت، والسيوف قد انتضيت، ورعدت الكتيبة بصواعق الموت وبرقت، استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله، ومضى الشباب منهم قدمًا حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه، وتخضبت بالدماء محاسن وجهه، فأسرعت إليه سباع

=

عبد الله بن عباس حينما ناقشهم رأى منهم جباهًا قرحة لطول السجود، وأيدي كثفنات الإبل عليها قمص مرحضة (أي طاهرة)[1].

كما عرف الخوارج بالإخلاص الشديد لعقيدتهم والشجاعة في حروبهم وكانوا مصدر قلق للدولة الأموية فقد (ظلت الخوارج شوكة في جنب الدولة الأموية يهددونها ويحاربونها حربًا تكاد أن تكون متواصلة في شدة وشجاعة نادرة، وأشرفوا في بعض مواقفهم على القضاء على الدولة، وكانوا فرعين: فرعًا بالعراق وما حولها، وكان أهم مركز لهم (البطائح) بالقرب من البصرة، وقد استولوا على كرمان وولاية فارس وهددوا البصرة، وهؤلاء هم الذي حاربهم المهلب بن أبي صفرة، واشتهر من رجالهم نافع بن الأزرق وقطري بن الفجاءة.

=

الأرض، وانحطت إليه طير السماء ، فكم من عين في منقار طير بكى صاحبها في جوف الليل من خوف الله!! وكم من كفٍّ زالت عن معاصمها طالما اعتمد عليها صاحبها في جوف الليل بالسجود لله!!

(١)المبرد، الكامل جـ ٢: ص ١٤٣.

وفرعًا بجزيرة العرب استولوا على اليمامة وحضرموت واليمن والطائف، ومن أشهر أمرائهم فيها أبو طالوت ونجدة بن عامر وأبو فديك.

ولم يتغلب الأمويون على هذين الفرعين إلا بعد حروب طويلة شديدة استمرت طوال عهد الدولة الأموية.

ثم كانوا كذلك في الدولة العباسية، ولكن لم يكن لهم من القوة ما كان لهم في عهد الأمويين، فقد ضعف شأنهم وانحط[1].

وكان الخوارج من أشد الفرق الإسلامية جرأة واندفاعًا وحماسة وتهورًا في سبيل الدفاع عن عقائدهم وإنهم بحق كما يقول الشيخ أبو زهرة[2]: ليشبهون في استحواذ الألفاظ البراقة على نفوسهم واستيلائها على مداركهم اليعقوبيين الذين ارتكبوا أقسى الفظائع وأشد الشنائع في الثورة الفرنسية، فقد استولت على هؤلاء ألفاظ الحرية والمساواة والإخاء، وباسمها قتلوا الناس، وأهرقوا الدماء وأولئك استولت عليهم ألفاظ الإيمان ولا حكم إلا لله، والتبرؤ من الظالمين، وباسمها أباحوا دماء المسلمين

---

(١) أمين أحمد، فجر الإسلام جـ ١ ص ٣٠٨.
(٢) أبو زهرة محمد، تاريخ الجدل ص ١٤٧.

وخضبوا البلاد الإسلامية بالدماء، وشنوا الغارة في كل مكان، ويظهر أن الحماسة التي امتازوا بها كانت الوحدة الجامعة بينهم وبين اليعقوبيين، وما صدر عن الفريقين من أعمال متشابهة، كان لهذه الحماسة وقوة العاطفة.

ولقد كان الخوارج أكثر الفرق الإسلامية حماسة لأفكارهم ومبادئهم وعرفوا بالتهور والاندفاع الشديد بظواهر الألفاظ، والاستهداف للمخاطر بداعٍ أو بدون داعٍ قوي لذلك نتيجة تعصبهم الأعمى لمبادئهم وعقائدهم.

وكان الخوارج كثيرًا ما يختلفون ولعل هذا هو السبب في إخفاقهم في كثير من المعارك رغم شجاعتهم النادرة في القتال، يقول الدكتور محمود إسماعيل عبد الرازق[1]: على أن من أهم أسباب إخفاق حركات الخوارج وفشل ثوراتهم، تفشي الخلافات داخل جماعتهم وهي خلافات كان الباعث عليها في الغالب الاختلاف في المبدأ والرأي، فقد تباينت آراؤهم في مسائل عدة، وأدى ذلك إلى انقسامهم إلى فرق... ومما زاد من خطورة هذا الانقسام أنه كان يحدث في الأوقات العصيبة إبان حروبهم فكان

(١) عبد الرازق محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب ص ٢٧.

يحرمهم من جنى ثمار النصر ويؤدي بهم إلى الهزائم[١].

ونحن نرى أن الخوارج هم أول حزب سياسي تكون في تاريخ الإسلام بعد موقعة صفين وإعلان نتيجة التحكيم بين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص.

ويرى الدكتور النشار أن المسلمين حتى مقتل الحسن كانوا مسلمين فحسب لا سنة ولا شيعة، ولم تظهر فكرة (الوصاية أو الإمامة) فكريًّا أو سياسيًّا إلا في فرقة الخوارج أي قبل ظهور التشيع)[٢]... وهذا الرأي يؤكد رؤيتنا بأن الخوارج هم أول حزب سياسي نشأ في الإسلام.

---

(١)من أمثلة ذلك (خروج عبد ربه الكبير على قطري بن الفجاءة وهو يقاتل المهلب ٧٧هـ ٦٩٦م، لأن قطري تأول فأخطأ فانفصل عنه عبد ربه بمعظم الجيش بعد أن كان النصر وشيكًا، وأتيح للمهلب سحقهما واحدًا بعد الآخر) المرجع السابق ص٢٧.

(٢)النشار، علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي جـ ٢ ص ١٨.